واقع ومستقبل العربية ودورها على المستوى الاقتصادي في مناطق التداخل اللغوي في شمال السودان

مقدمة

تعد اللغة العربية من اللغات الواسعة الانتشار في بعض الأقاليم والدول من العالم وقد استمرت هذه اللغة في الوجود بفعل العديد من العوامل ، لعل أبرزها كونها لغة القرآن الكريم ولغة علوم الدين ، ومن ثم اعتبارها كمفتاح لفهم القرآن وفهم هذه العلوم من جهة ، ومن جهة كونها لغة الحضارة الإسلامية التي سادت العالم لقرون عديدة .

من خلال ما سبق تأتي هذه الدراسة حول واقع ومستقبل اللغة العربية ودورها على المستوى الاجتماعي والاقتصادي في مناطق التداخل اللغوي في شمال السودان الأمر الذي يجعلها مجالا خصبا لترويج واستثمار اللغة العربية والنظر في حاضرها ومستقبلها باعتبارها اللغة المشتركة للتفاهم اليومي بين تلك الاثنيات المختلفة .

ملخص الدراسة

هذه الدراسة تسلط الضوء على واقع استخدام اللغة العربية في المجال الاقتصادي والاجتماعي في مناطق التداخل اللغوي في شمال السودان وبالتحديد في مناطق التجمعات والأسواق باعتبارها من الحاضنات لإثنيات لغوية عدة حيث تتفاعل في هذه الأمكنة مجموعة من القبائل العربية الوافدة من غرب السودان بجانب قبائل النوبة المحلية المتمثلة في المحس والسكوت والدناقلة وقبائل عربية مثل الشايقية والبشارية والبديرية ، وبعض بقايا مماليك مصر التي استقرت في مدينة أرقو ، وكرمة ، ودنقلا ، والدبة ، وكذلك بعض الأسر القادمة من وادي علاق في جمهورية مصر العربية واستوطنت في المنطقة وانصهرت في المجتمعات النوبية بمرور الزمن .

هذه الجماعات اللغوية تلتقى في الأسواق والمناسبات المختلفة لتبادل المنافع والتجارة فيما بينها ، وتستخدم اللغة العربية كلغة مشتركة ومن خلال التفاعل والاتصال يحدث التأثير والتأثر ويتعلم النوبي الأمي العربية سواء أكان رجلا أو امرأة أو طفلا من جراء الاحتكاك وتبادل المنافع وينعكس هذا التفاعل على قاموس اللغتين اذ أن الاحتكاك يحدث بين متحدثي اللغتين يتخلله انتقال عدد من المفردات اللغوية استجابة للحاجة التي لا توجد دلالاتها في اللغة المقترضة ، وهذا ما يعرف بالاقتراض اللغوي إذ العربية غزت النوبية وأشبعتها بمفردات كثيرة ليست لها مقابل في النوبية كالمفردات التي تتعلق بالعبادات والتجارة والطب وما إلى ذلك .

هذا يعني أن الاتصال المباشر بين جماعة لغوية مختلفة يؤدي الى أخذ بعض الالفاظ من الجانبين مع الاختلاف الكمي ، في الأخذ وهذا لا يتحدد الا بحاجة كل منهما ، ويمكن أن يكون الاتصال المباشر عن طريق التعامل التجاري أو الاجتماعي أو أي شكل من أشكال الاتصال البشري .

جاءت الدراسة على أربعة محاور : المحور الأول تناول مناطق النوبة وأصولهم وممالكهم ، والمحور الثاني ،أهمية اللغة العربية ومكانتها لدى النوبيين ، والمحور الثالث ، أثر العربية في التواصل الاجتماعي بين الاثنيات المختلفة ، وأثر العربية في المجال الاقتصادي , وأخيرا المشكلات التي تواجه متعلم العربية في تلك المناطق وسبل علاجها

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذا الموضوع في إبراز اسهامات القبائل المختلفة سواء كانت عربية أو أفريقية في مناطق التداخل اللغوي في شمال السودان ودورها المتعاظم في تدعيمها اللغة العربية باعتبارها القاسم المشترك للتواصل الفكري والاجتماعي والتجاري والديني فيما بينها .

أهداف الدراسة

ـ التعرف على واقع اللغة العربية ودورها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي في مناطق التداخل اللغوي في شمال السودان .

ـ التعرف على واقع ومستقبل اللغة العربية في مناطق التداخل اللغوي في شمال السودان .

ـ محاولة تقديم بعض التوصيات التي يمكن أن تساهم في الحفاظ على اللغة العربية حاضرا ومستقبلا .

فرضيات الدراسة

هل للغة العربية مكانة في مناطق النوبة ؟ وما مدى أهميتها ؟

ما هو واقع ومستقبل اللغة العربية ودورها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي في مناطق التداخل اللغوي في شمال السودان ؟

ما هو مستوى الطلب العام على اللغة العربية مقارنة باللغات الأخرى ؟

ما هو مستوى الطلب العام على اللغة العربية في المستقبل؟

أسباب اختيار الموضوع

ـ انعدام الدراسة الميدانية حول هذا الموضوع .

ـ اعتبار هذه المنطقة من مناطق التداخل اللغوي مما يثري البحث ويحفز القادرين على التمام .

ـ التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على المنطقة من جراء هجرة اعداد كبيرة من الوافدين للعمل في الأسواق والزراعة والتنقيب البدائي للذهب .

منهج الدراسة

اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي لكونه الأنسب لطبيعة الدراسة

محاور الدراسة

تمهيد : مفهوم التداخل اللغوي.

المحور الأول : لمحة تاريخية عن مناطق النوبة : أصولهم ، ممالكهم .

المحور الثاني : أهمية اللغة العربية ومكانتها عند النوبة .

المحور الثالث : أثر اللغة العربية ودورها على المستوى الاجتماعي بين الاثنيات المختلفة .

المحور الرابع : أثر اللغة العربية ودورها على المستوى الاقتصادي

المحور الخامس : المشكلات التي تواجه متعلم العربية ، وسبل علاجها.

الخاتمة : وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات .

مفهوم التداخل اللغوي

التداخل اللغوي عبارة عن تأثير اللغة الأم في اللغة الأجنبية عندما يتحدث بها المتكلم أي بالأخيرة إذ الإنسان كائن اجتماعي واللغة ظاهرة إنسانية ولكل قوم لغتهم ، وكل ما ابتعد قوم عن غيرهم ، جغرافيا من حيث الزمان والمكان ، أو ثقافة وقلت ظروف الالتقاء ونقاط التقارب الثقافي أو خلافه تمايز الشعبان واختلفا لغة ولسانا ، وحيثما يحدث العكس فيعيش شعبان أو أكثر في رقعة واحدة ولكل منهما لغة ، فإن كل منها سيؤثر في لغة الآخر ، وحيثما تتغلب لغة على الأخريات فتؤثر في غيرها ، ويحدث ما اصطلحنا على تسميته بالتداخل اللغوي وما من شك فإن كل من يحاول أن يتعلم لغة أجنبية عليه سيتحدثها متأثرا بلغته الأم (1)

لمحة تاريخية عن مناطق النوبة : أصولهم ، ممالكهم .

تمتد أراضي النوبة في جنوب مصر لتشكل همزة الوصل بينها وبين السودان ، واقترن اسم النوبة بحضارة قديمة كانت مواكبة لحضارة المصريين القدماء ، بل وتعتبر جزءا لا يتجزأ منها ، حيث آمن ملوك هذه الحضارة بنفس الآلهة المصرية القديمة ، كما استطاع بعض هؤلاء الملوك في القرن السادس قبل الميلاد أن يعتلوا عرش مصر، ليدشنوا بذلك الأسرة الخامسة والعشرين في التاريخ المصري القديم.

أورد البعض أن الاسم (نوبة) يرجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد وهي قبيلة تسكن غرب النيل من مروي إلى الشلال الرابع ، وهم ينقسمون إلى عدة ممالك ولا يخضعون لملك مروي ، وقد أطلقت عليهم أسماء عديدة مثل : رماة الحدق ، أهل القوس ، أرض الذهب ، أرض كوش وغيرها (2) . وقد تعددت الآراء حول أصل النوبة يمكن حصرها في رأيين :

أولهما الرأي القائل بأن أصل النوبة هو النيل ، ثم حدثت منه هجرات إلى غرب السودان ـ كردفان ودارفور ـ في فترات تاريخية مختلفة (3)

ثانيهما يرى أن أصل النوبة مجموعات بشرية جاءت من منطقة ما غرب النيل هي غالبا كردفان ودار فور(4)

قاد الاختلاف حول أصل النوبة إلى الاختلاف حول أصل اللغة النوبية ، إذ يرى البعض أن اللغة النوبية المتحدثة في كردفان ودارفور مصدرها النيل(5) بينما ترى مجموعة ثانية أن اللغة النوبية المتحدثة في النيل قد وفدت من كردفان مع مجموعة مهاجرة زحفت شرقا نحو النيل(6)

ولكن يبدو أن النوبة كاسم وشعب قد بدأ له وجود بعد القرن الرابع الميلادي أي بعد سقوط مملكة مروي حسب تاريخ العلماء لذلك (7) قدم النوبة من الغرب في وقت ما في بداية القرن الرابع الميلادي وحلوا محل المرويين عندما شارفت المملكة على نهايتها وإنهم كانوا مجموعات متحركة عبرت النيل والنيل الأزرق في القرن الرابع إلى أرض البطانة ومملكة أكسوم (8)

وبعد أن استقر النوبة في منطقة وادي النيل ، بعد سقوط مملكة مروي بفترة انتقالية مهدت لانتشار المسيحية ثم الإسلام فيما بعد ، قامت ثلاث ممالك نوبية تزامنت مع التبشير المسيحي في بلاد النوبة وهي:

1ـ مملكة نوباتيا : وكانت تقع بين الشلال الأول بأسوان والشلال الثاني في المنطقة التي عرفت بأرض الحجر وعاصمتها فرس

2ـ مملكة المقرة :امتدت ما بين الشلال الثاني والخامس وعاصمتها دنقلا العجوز وقد اتحدت ومملكة نوباتيا في مملكة واحدة عرفت باسم المقرة وعاصمتها دنقلا العجوز وسقطت في أيدي العرب سنة 1323م

3ـ مملكة علوة : تقع بين الشلال الخامس وملتقى النيلين وجزء من الجزيرة وعاصمتها سوبا سقطت سنة 1504م على يد التحالف الذي تم بين العرب والفونج

أهمية اللغة العربية ومكانتها عند النوبة .

كانت مملكة النوبة المسيحية حاجزا سياسيا أمام هجرة العرب ، وبسقوطها بدأت تدفقات العرب عن طريق وادي النيل ، من صعيد مصر والصحراء الشرقية متجهة إلى شمال ووسط وشرق وغرب السودان ولم يدخل العرب مع ذوي الديانات في صراعات مما نتج عنه تحول الممالك المسيحية إلى الإسلام في أريحية طائعة مختارة مما أدى إلى تمازج بين العرب والزنوج والإسلام والديانات المحلية في إخاء تام معبرا عن القومية السودانية المتسامحة .

يبدو ان التعدد اللغوي كان من السمات الثقافية السائدة في بلاد النوبة طوال تاريخها الوسيط ، فكما هو الحال في اسواق افريقيا الغربية الى يوم الناس هذا ، فقد عمدت المناشط التجارية

وشعائر التعبد الديني المسيحي الى وضع عدد من اللغات المنحدرة من سلالات لغوية متباينة في حيز الاستخدام والاحتكاك المباشر في الممالك النوبية . وهذه اللغات هي : القبطية والعربية والبجاوية وربما كانت من بينها الاغريقية والمروية **(9)**

استمر انتشار اللغة العربية في مناطق النوبة وأخذت تكتسب أرضية صالحة لها حتى أضحت لغة الشعائر الدينية واللغة المشتركة للتواصل ما بين اللهجات النوبية المختلفة ، جاء العامل الديني في مقدمة عوامل انتشار اللغة العربية في مناطق النوبة ، فقد أخذ الإسلام ينتشر شرقاً وغرباً فدخلت بلاد النوبة فاعتنق أهلها جميعا الدين الإسلامي ، فمع اعتناق أي فرد من الأفراد للدين الإسلامي كان لابد له من الإلمام ـ على الأقل ـ ببعض الآيات القرآنية حتى يؤدي بها صلاته وواجباته الدينية ، وفي أوقات متأخرة أخذ يتنامى الطلب على تعلم العربية عن طريق عدة وسائل **أولها** : حلقات العلم التي كانت تعقد في الكتاتيب والخلاوى ودور العبادة لتحفيظ القرآن الكريم ، والذي يزور هذه الدور التي تتخذ العربية لغة تعليم يجد أن الشيوخ كانوا يضطرون لأن يستخدموا لغة التلاميذ في معظم الأحوال لتدريس الحروف الألفبائية والمواضيع التي تتعلق بالسيرة النبوية في بداية عملية التعلم ، **ثانيها** : وبعد أن ضرب الاسلام أطنابه في هذه المنطقة واستقرت إليه الأوضاع وترسخت العقيدة في نفوس أهلها شرع عدد من الأسر في إرسال أبنائها إلى الأزهر الشريف لتلقي القرآن الكريم وفهمه وقراءة شروحه وتفاسيره بجانب تعلم اللغة العربية . **ثالثها** : في الآونة الأخيرة زاد اهتمام الناس بتعلم العربية لأبنائها وحملهم على التحدث بها منذ الصغر وذلك بفرض رقابة عليهم داخل البيت وخارجه **رابعها** : كانت هجرة الأسر نحو العاصمة والمدن الكبرى للاستقرار فيها مما أبعد الأبناء عن بيئتهم اللغوية التي نشأوا فيها إلى بيئات لغوية أخرى تسود فيها العربية وأدت هذه الهجرات إلى ابعاد الأبناء عن تعلم اللغة المحلية . **خامسها** : وجود قبائل عربية في المنطقة كانت لها أثرا في ان تتعلم الطبقات غير المتعلمة العربية فهما وتخاطبا وذلك بفعل الاحتكاك في الأسواق والمناسبات المتعددة ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعدى إلى انصهار تلك القبائل في المجتمع النوبي وظهرت نتيجة لذلك جبل جديد من المجتمع غلبت عليه روح العربية . **سادسا** : التعليم الحكومي المنظم : حيث بدأت انتشار المدارس النظامية في كل مدن : دنقلا والقولد والسير والبرقيق وعبري وحلفا إبان فترة الاستعمار الانجليزي مما أتاحت الفرصة لتعلم العربية وظهور جيل مثقف تبوأ العمل الإداري في مجالات الطب والتعليم والحكم المحلي .

ومن شدة اهتمام تلك الإدارات باللغة العربية وخاصة في التعليم كانت بعض إدارات المدارس تمنع استخدام اللغة المحلية في التواصل اليومي بين الطلاب وتضع قيودا عليها وذلك بعمل بطاقة مكتوب عليها (لا تتحدث بغير العربية) تعطى لمن يتكلم باللغة المحلية من قبل أخيه سواء كان داخل حرم المدرسة أو خارجه وتتداول البطاقة من يد إلى يد إلى أن يبلغ عدد الذين تكلموا مقدارا كبيرا ، وفي اليوم التالي يخرج أول من استلم البطاقة ويذكر اسم من أخذ منه فيخرج ، ويذكر الآخر اسم من استلم منه ويخرج ، وتتوالي أعداد المستلمين حتى يبلغوا المئات ومن ثمّ يبدأ العقاب البدني وتستمر العملية طيلة فترة الدراسة ، كانت هذه طريقة من طرق حمل الطلاب على تعلم العربية .

وهناك من يرى أن تعلم العربية على حساب اللغات المحلية انعكس سلبا على تراث وثقافة ولغة القبائل النوبية حاثا على معرفة دورها في حياة المجموعة التي تتحدثها، ومدى معرفتها والكفاية اللغوية لدى المتحدثين بها ، ذلك لأن هنالك لغات تتحدثها مجموعة صغيرة (بضعة آلاف)، وقد تكون في طريقها إلى الفناء، ومع ذلك تعتبر هذه اللغة (الآيلة للانقراض) جزءاً من تراث البلد ينبغي تدوينه وتسجيل الآداب التي كتبت (أو حكيت) به (10)

ما كان ينبغي أن تحارب اللغة واللغات المحلية والقضاء عليها كليا لأن الأمر في رأيي يتصل باتجاهات المجموعة اللغوية من حيث الهوية والانتماء

صحيح أن اللغة تعتبر من أهم مقومات الهوية إلا أن المجموعة الثنائية اللغة قد تغلِّب الانتماء للمجتمع الأكبر، وربط هويتها بهويته ثقافياً، أكثر من ارتباطها العرقي أو اللغوي. علماً بأن مكونات الهوية لا تنحصر في اللغة وحدها، إذ هنالك مقومات أخرى كالثقافة والدين والأرض والدولة، وهذه تعزز الرغبة في الانصهار والتمازج بدلاً من العزلة والانكفاء. ومهما كان القرار السياسي بالنسبة لاستخدام اللغات الوطنية (غير العربية) فإنّ من المسلم به ضرورة تدوين هذه اللغات بوصفها تراثاً وطنياً. وتدوينها يعنى دراسة نظامها الصوتي والصرفي والنحوي، وعمل معجم لمفرداتها، وكتابتها بدقة بحروف عربية صوتية ثم كتابة التراث الأدبي لهذه اللغات وما حملته من فن القول قصصاً وشعراً وحكماً وأمثالاً...وبطبيعة الحال لا بد من معرفة الأسرة اللغوية التي انحدرت منها، وعلاقتها أو قرابتها العرقية من اللغات الأخرى في المنطقة، وإذا أمكن معرفة الأطوار التي مرت بها في شبابها وفتوتها باحتمال أن هذه اللغة كانت ذات سيادة ونفوذ في منطقة واسعة في الماضي، وقد نجد آثارها في اللغات الأخرى المجاورة لها، أو التي احتكت بها. (11)

أثر اللغة العربية ودورها على المستوى الاجتماعي بين الاثنيات المختلفة

المجتمع - كما قيل - هو نتاج الخطابات المختلفة , التي تموج بداخله ,ومدى وفرة وشفافية المعلومات السارية في كيانه. ويتوقف على هذين الأمرين مستوى الذكاء الجمعي للمجتمع ككل, وكلاهما - بداهة - يتوقف على النهوض باللغة التي تصاغ بها معظم هذه الخطابات, ويتم من خلالها تبادل تيارات المعلومات (12)

ولذا لعبت اللغة دورًا أساسيًا في إحداث التماسك الاجتماعي, فاللغة هي التي تغزل النسيج المجتمعي في شبكة من علاقات التواصل سعيًا لتحقيق الوفاق بين أفراد المجتمع وجماعاته ومؤسساته, فلا وفاق بلا لغة ولا مجتمع معلومات حقيقيًا بلا وفاق, يتحقق من خلال الشفافية اللغوية, ويمكن القول إن معظم الممارسات الاجتماعية هي ضرب من ألعاب اللغة ولكل ممارسة اجتماعية لغتها, فللسياسة لغة الإعلام ,وللتجارة لغة الإعلان, وللاقتصاد لغة الأرقام والإحصاءات. وتعكس الاستخدامات اللغوية - وفقًا للغويات النقدية - الأنماط الأيديولوجية الغائرة داخل الكيان المجتمعي , وستظل اللغة ممارسة اجتماعية, أي أنها ليست وسيطًا بريئًا للتواصل, ولا سبيل للكشف عن صورتها الأيديولوجية الكامنة, ومواكبة سرعة التغير الاجتماعي, إلا من خلال رصد اللغة ولكن تأثير هؤلاء النوبة الوطنيين وقوة هذا التأثير وضعفه ترتبط بالوجود الفعلي والحجم العددي لهؤلاء المهاجرين العرب الجدد وتغلغلهم في المجموعات المحلية ، فحينما تقوى هذه العلائق والصلات يقوى الأثر العربي ويقل تدريجياً كلما قلت هذه العلائق فمدى (تأثير هذه الهزة مرتبط بتحركات القبائل العربية ومناطق استقرارها إذ أن موجة الفتح سرعان ما انسحبت عن الأطراف وارتكزت في الوسط فكان أقرب إلى بيئة العرب وكلما بعدت عن الوسط زاد التداخل اللغوي بين اللغات الموجودة في تلك المناطق وتضاءل النفوذ العربي المباشر ووجدت اللغات المحلية فرصة أكبر ففي الشمال ما يزال الناس يتحدثون بلغة النوبة (الكنوز – الحلنقة – السكوت – المحس – الدناقلة) ، لكن هذه المناطق تأثرت في كثير أو قليل بالغة العربية والواقع أن ذلك لم يحدث بين يوم وليلة ، بل هو نتيجة لتطور بعيد المدى.(13)

ومن خلال المعايشة اليومية لمسار الممارسات اللغوية نجد أن العربية تواصل تقدمها على اللغات واللهجات المحلية ، بل وتتخطاها لكونها واسعة الاستخدام في مجال التعليم والتجارة والسياسة وخلافها ، فهي تنتشر بصورة مذهلة بين المجموعات التي لم تكن تتحدثها تاريخياً ، (إذ تنتشر اللغة العربية بين أفراد هذه المجموعات كلغة تخاطب خارج نطاق المجموعة ، وكلغة أولى أي لغة أم ، لأعداد متزايدة من أطفال المجموعة ، ويتم هذا الانتشار خلال المسالك الاستخدامية الثلاثة على نسق تدريجي لا متواز في سرعة سريانه وفى مدى اتساع رقعة هذا السريان .(14)

فاللغات المحلية في مناطق التداخل اللغوي في السودان في انحسار مستمر لصالح اللغة العربية ، التي احتكرت مجال الاستخدام اليومي ، وتسير اللهجات واللغات المحلية إلى التناقص الكمي لعدد

المتحدثين بها ، فكلما ولد طفل كانت العربية قد اكتسبت متحدثاً جديداً ، وكلما توفى شيخ هرم تكون اللغات المحلية قد خسرت متحدثاً إذ العربية هي اللغة الوحيدة بين الأطفال والغالبية بين المراهقين والتي تستخدم متساوية بين الآباء والأمهات . بخلاف اللغات واللهجات المحلية إذ هي المتحدثة بين الشيوخ وتقل عند الآباء والأمهات لتقل أكثر لدى المراهقين وتندثر عند الأطفال ، فالمستقبل من خلال ذلك يشير إلى أن العربية هي اللغة التي لا تنازعها لغة في مناطق التداخل اللغوي فانتشار اللغة العربية وانحسار اللغات المحلية في الواقع السوداني يعنى أن العربية لا تنتشر من فراغ، بل عن طريق احتلال مواقع اللغات المحلية تدريجياً، أو نتيجة لاستخدامها في المجالات المستحدثة كالتعليم العالي والفني وفى الدبلوماسية والتجارة الخارجية وغيرها.... والتي لا تقوى اللغات المحلية على التعامل معها في ظل التوزيع لعلاقات القربى بين المتحدثين بهذه اللغات المحلية من جهة وبين المتحدثين بالعربية من جهة أخرى، ونتيجة لعدم تطوير اللغات المحلية وإعدادها للاستخدام في تلك المجالات.(15)

لذا فقد تم في كثير من مناطق النوبة التحول لصالح اللغة العربية باكتساب أهل هذه المناطق اللغة العربية كلغة أولى - أي اللغة الأم عند الأطفال – وهذه المرحلة هي مرحلة التخلي عن اللغة المحلية ، فتحولت العربية من لغة التخاطب بين المجموعات اللغوية المختلفة إلى اللغة الأم ، واللغة المحلية صارت لغةً ثانية، وعما قريب سوف تكون العربية هي اللغة الأولى والأخيرة في الساحة بدون منازع.

أثر اللغة العربية ودورها على المستوى الاقتصادي

"إذا أردتُ أن أبيعــك بضاعتي يجب أن أتحدث لغتك وإذا أردتَ أن تبيعني بضاعتــك فعليك أن تتحدث بالألمانيـة " المستشار الألماني الأسبق : ويلي براندت(16)

يخضع تحديد القيمة السوقية للغة ما ، في فترة ما ، للعوامل الاقتصادية ؛ فاللغة الصينية ، مثلا ، على الرغم من أنها لغة جماعة لغوية ضخمة ذات تراث ثقافي عميق، ولغة بلد ذي أهمية سياسية كبيرة في عالم اليوم ، ليست تحظى بطلب كبير عليها على مستوى العالم بوصفها لغة أجنبية ، لأن إمكان استغلالها الاقتصادي إمكان محدود . أما اللغة اليابانية – في المقابل – فقد ارتفعت قيمتها في السوق العالمية للغات الأجنبية خلال العقد الماضي ، وهو تطور لافت للنظر يكاد يشبه ارتفاع شأن الين في سوق العملات ، حيث إن اليابان قد أصبحت شريكا تجاريا مهما لبلاد كثيرة على مستوى كل القارات . (17)

ومن العبث أن نغفل أهمية العامل الاقتصادي في النهوض باللغــة العربية ، لأن ما يشغل العالم كله الآن هو في المقام الأول مشاكل اقتصادية ، وليس ثمة مجتمع يريد أن ينهض دون أن يحسن اقتصاده ، واللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية تتأثر كما رأينا باقتصاديات المجتمعات المتحدثة بها ، ويمكن أن تكون اللغة العربية شأنها شأن اللغات الحضارية من عوامل تحسين الاقتصاد من خلال ما يسمى بالتصدير اللغوي للبرامج والتقنيات التي تعالج منظومتها . ويمكن القول : إن توجيه رأس المال نحو الاستثمار في مشاريع معالجة اللغة العربية له عائد كبير للمستثمر نفسه وللغة أيضا ، وتتحدد مجالات الاستثمار اللغوي بقيمة رأس المال وقدرة المستثمر على سرعة الإنجاز والمنافسة التجارية ؛ وأهم هذه المجالات بناء المعاجم وصناعتها باستخدام الكمبيوتر ، فربح المعاجم كبير ودائم ، وكذلك برامج الترجمة الآلية من وإلى العربية ، وبرامج المعالجة الآلية للنحو ، والصرف فضلا عن برامج تعليمها للنشء وغير المتحدثين بها. (18)

لئن كانت الأسواق ، وغيرها من أوجه النشاط التجاري والاقتصادي الذي شهدته الحياة العربية في مختلف البقاع ، وعلى مر العصور ، قد استخدمت فيها اللغة العربية على أنها الوسيلة الأساسية في ترويج وتبايع البضائع والسلع ، أي من خلال عمليات البيع والشراء فإن أهمية اللغة بصورة عامة ، قد اكسبت أهميتها في مناطق النوبة من خلال النشاط الاقتصادي في الأسواق حيث يجتمع السكان الأصليون والقبائل الناطقة بالعربية مرتين أو ثلاثة في الأسبوع وتكون هذه الأسواق مجالا خصبا يتعلم فيها الأمي والصغير العربية فهما وتخاطبا قبل أن يتعلمها قراءة

وكتابة في التعليم الحكومي ، وتتعدد صور ومجالات استخدامها تبعا لتعدد أدوات الاتصال التجاري بين قبائل النوبة والمجموعات العربية الوافدة ، حتى أصبحت هي الأخرى ينظر إليها باعتبارها سلعة ذات قيمة تبادلية تتزايد مبيعاتها في ظل الطلب المتنامي عليها ، غير أن لها ميزة تختلف بها عن باقي السلع ، وهي أن مخزونها أبدا لا ينفد كما أن المعاملات التجارية في مثل هذه الأسواق كانت تتم في الغالب باللغة العربية أو بالعربية المختلطة بلغات البلاد المحلية مما أتاح لهؤلاء الأفراد أن يعرفوا قدراً من اللغة العربية من خلال هذه المعاملات مما كان له أثراً في نشر اللغة العربية بين قبائل النوبة حتى إذا ما اعتنقوا الإسلام صار واجباً عليهم الإلمام ولو بشكل قليل باللغة العربية.

أثرت هذه التعددية اللغوية تأثيرًا ملموسًا على المجتمع النوبي الذي تسوده إثنيات، متنوعة تنطق بلغات مختلفة. وكانت من نتائج هذا التأثير أن تعمقت العلاقات الاقتصادية والثقافية التي ربطت نسيج التركيبة السكانية، فتوجهت قدراتها على توظيف لغات غير لغتها الأم لضمان ديمومة الاتصال مع بقية هذه الاثيات المتعددة ، والتمتع بميزة تنافسية في ميادين التجارة والأعمال، والثقافة، والتعليم .

بيد أن ما جاء به تيار العولمة، وسيادة شبكة الإنترنت، والخدمات الرقمية قد قلّص من حدود العالم الجغرافية، وصهر الحدود السياسية، والهويات الوطنية في بوتقة جديدة أنتجت المجتمع الرقمي المفتوح، الذي لا تسري على كيانه المحددات الإقليمية، أو التضاريس الجغرافية التي طالما ساعدت في الحفاظ على الهوية الحضارية لبلدان الأرض تجاه التأثيرات الجارفة للحضارة القادمة من شمالها.

لقد أصبحت مسألة التعدد اللغوي سمة جوهرية لا تنفك عنها الكيانات القائمة في المنظومات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، بمجتمعاتنا المعاصرة، فأضحت بحاجة إلى معالجة تنبع عن سياسة وطنية متبصرة، قبل أن ينظر إليها بمنظور اقتصادي صرف .

عمومًا هناك أكثر من عقبة تظهر أمامنا عندما نريد تحديد المنافع المتحققة، مقابل الكلف الاستثمارية المطلوبة لنيل مستوى مقبول من المهارات اللغوية بدائرة اللغة الأم واللغة الثانوية والشبيهة بالأم. فعدد اللغات، وميدان توظيف اللغة (فردي، أو مؤسسي، أو مكتبي، أو اجتماعي)، وطبيعة التوظيف)منطوق/مدوّن، أو فعال/غير فعال)، تضيف إلى القائمة مجموعة جديدة من المتغيرات المتشابكة مع نسيج المنظومتين الاقتصادية والاجتماعية على حد سواء.(19)

المحور الثالث: الصعوبات التي تواجه متعلم العربية ، وسبل علاجها.

أما فيما يختص بمستوى التلاميذ في اللغة فإن مشكلاتهم تتمثل في العجز عن التطبيق , بجانب بعض الأخطاء المتعلقة بعادات التلاميذ في القراءة وميوله نحوها, وعموما فان اللغة تعانى من الازدواجية بينها وبين اللغات المحلية , فالتلميذ يعايش لغته الأم في منزله وفى بيئته وفى المدرسة خارج وداخل الفصول خاصة وان المعلمين نادرا ما يستطيعون انتقاء لغة سهلة وملائمة لتلاميذهم ويلتزمون بها في دروسهم مما يكون له الأثر لدى تلاميذ منطقة الدراسة .اتضح أيضا أن هؤلاء التلاميذ يعيشون وضعا اقتصاديا وثقافيا متدنيا مما يؤثر في تحصيلهم . فالغالبية العظمى من الآباء مزارعون بالإضافة إلى تفشى الأمية بين تلك الأسر. وهكذا اثبت هذه الدراسة أن اللغة العربية تنتشر بين تلاميذ منطقة الدراسة. مما يشير إلى أن سريان العربية ينطوي على الانحسار التدريجي للغات المحلية في هذه المناطق .(20)

وسواء بدأ التعليم باللغة العربية أو باللغة المحلية فإن التلاميذ في هذه المناطق يواجهون في تعلم اللغة العربية عدداً من المشكلات التي تحتم على التربويين معالجتها على مستوى المنهج والمقررات وتدريب المعلم والامتحانات، وعلى مستوى البحث العلمي. وإذا كان التلاميذ

يجلسون إلى الامتحان الموحد مع زملائهم الذين يتحدثون العربية لغة أولى (لغة أم) فإن مراعاة هذه الصعوبات يصبح من الأولويات التربوية القصوى. هذه المشكلات تتمثل في الآتي:

أولاً: دلت بعض الدراسات التي أجريت على أن التلميذ الثنائي اللغة يواجه مشكلات عديدة في نموه اللغوي (بالمقارنة إلى الأحادي اللغة) وأن مفرداته أقل عدداً من زميله الأحادي اللغة، وأن الثنائي اللغة عليه أن يحفظ كلمتين لكل معنى، واحدة في لغته الأم والثانية في اللغة الأخرى (التي يتعلم بها أو يدرسها).(21)

ثانياً: الطالب الذي يتعلم بلغته لا يحمل همَّ إخراج الأصوات اللغوية لأنه ينطقها بالسليقة (بطريقة آلية) بخلاف الذي يتعلم بلغة غير لغته فإنه يحمل همَّ نطق الأصوات التي لا توجد في لغته حتى ينطقها بطريقة صحيحة وقبل ذلك فإنه يتعرض للسخرية (غير المعلنة) من زملائه وأساتذته والسامعين حيث ينظر إليه نظرة دونية.

ثالثاً: فيما يتعلق بمهارة الكتابة فإن الأخطاء الإملائية والنحوية تحسب عليه، وهو يعاني من اختيار التراكيب التي يعبر بها عن المعاني ولذلك فإنه يحتاج إلى وقتٍ أطول بالمقارنة مع زميله من أهل اللغة الذي يؤدي ذلك بطريقة لا شعورية وبدون عناء وكل ذلك يقلل فرص الاستيعاب ويؤثر على نتائج الامتحانات.(22)

رابعاً: الطالب الذي يتعلم بغير لغته الأم يتحاشى كثيراً استخدام التعابير والتراكيب التي لا يوجد في لغته ما يشابهها وهي -أي هذه التراكيب والتعابير- تكون آلية عند صاحب اللغة، والأجنبي عن اللغة يتفادى استخدامها حتى لو كانت من المخزون اللغوي عنده لأن المفردات والتراكيب قد تكون مخزونة إلا أن إنتاجها حديثاً أو كتابةً يحتاج إلى تفكير ومعاناة. وقد تكون التراكيب المعطلة التي يتحاشاها التلميذ الثنائي اللغة أبلغ في التعبير عن الموقف من تلك التي يؤلفها تأليفاً.

خامساً: معاناة التلميذ الثنائي اللغة في تعلُّم اللغة العربية قد تغرس فيه اتجاهاً نفسياً سلبياً نحو هذه اللغة، لذلك فإن من الضروري على التربويين والمعلِّمين التدرج والتبسط وتكثيف التدريب حتى يحس بالنجاح في السيطرة على الظواهر اللغوية(23).

حلول ومقترحات

1ـ الاهتمام بالكتاب المدرسي من حيث مضمونه وتنويع محتواه ومراعاة العلاقة الأفقية بين المواد الدراسة وتكاملها والأنشطة التربوية الأخرى .

2ـ الحاجة إلى تحديد مستوى التلاميذ في مناطق التداخل اللغوي على اختلافها ومراعاة الفروق الفردية بينهم قبل وضع المادة اللغوية لتلاميذ هذه المناطق.

3ـ أيضا توثق الصلة بين المدرسة والبيئة حولها. وإقامة دورات تدريبية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها للمعلمين من مناطق التداخل اللغوي ومحاولة تحسين أوضاعهم المهنية .

4ـ الاستفادة من مناهج علماء اللغة ونظرياتهم الحديثة في تأليف الكتاب المدرسي الذي يواكب العصر وتطوراته

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله الأمين وعلي آله وصحبة ومن والاه خلصنا من هذه الورقة البحثية بحول الله وقوته بعد أن تحدثنا فيها عن واقع ومستقبل اللغة العربية ودورها على

المستوى الاقتصادي في مناطق التداخل اللغوي في شمال السودان خلصت الدراسة الى النتائج والتوصيات التالية .

أولا النتائج

1ـ عمقت اللغة العربية العلاقات الاقتصادية والثقافية التي ربطت نسيج التركيبة السكانية، فتوجهت قدراتها على توظيف لغات غير لغتها الأم لضمان ديمومة الاتصال مع بقية هذه الاثيات المتعددة ، والتمتع بميزة تنافسية في ميادين التجارة والأعمال، والثقافة، والتعليم

2ـ ظهور تيار العولمة ,وشبكة الإنترنت والخدمات الرقمية قد قلّص من حدود العالم الجغرافية، وصهر الحدود السياسية، والهويات الوطنية في بوتقة جديدة أنتجت المجتمع الرقمي المفتوح، الذي لا تسري على كيانه المحددات الإقليمية، أو التضاريس الجغرافية التي طالما ساعدت في الحفاظ على الهوية الحضارية لبلدان الأرض تجاه التأثيرات الجارفة للحضارة القادمة من شمالها.

3ـ يعاني التلاميذ في مناطق قبائل النوبة من الازدواجية بين اللغة العربية وبين اللغات المحلية , فالتلميذ يعايش لغته الأم في منزله وفى بيئته وفى المدرسة خارج وداخل الفصول خاصة وان المعلمين نادرا ما يستطيعون انتقاء لغة سهلة وملائمة لتلاميذهم ويلتزمون بها في دروسهم مما يكون له الأثر لدى تلاميذ منطقة الدراسة .

4ـ الطالب الذي يتعلم بلغته لا يحمل همَّ إخراج الأصوات اللغوية لأنه ينطقها بالسليقة (بطريقة آلية) بخلاف الذي يتعلم بلغة غير لغته فإنه يحمل همَّ نطق الأصوات التي لا توجد في لغته حتى ينطقها بطريقة صحيحة وقبل ذلك فإنه يتعرض للسخرية (غير المعلنة) من زملائه وأساتذته والسامعين حيث ينظر إليه نظرة دونية.

5ـ اتساع سوق اللغة العربية في المنطقة النوبية ، وتزايد الطلب عليها مما يجعلها تكسب أرضية خصبة للانتشار .

6ـ قدرة ومرونة اللغة العربية ، وهي السلعة في هذا الوضع ، على استيعاب التقنيات المختلفة ، لتعدد خصائصها ، وتفردها . مما يجعلها حقلا خصبا للدراسات التنظيرية اللغوية بصفة عامة ، مما يضمن رواجا لها في حركة البيع والشراء عند الطلب ، وتناميا في وسائل العرض.

ثانيا التوصيات

1ـ تخصيص إدارة تربوية لإعداد مناهج ومقررات اللغة العربية، والإشراف على الامتحانات في مناطق التداخل اللغوي .

2ـ تدريب المعلمين، وتشجيع البحث التربوي في هذا المجال ويشمل ذلك الدراسة التقابلية بين اللغة العربية واللغات الأخرى المعنية في مجال الأصوات والمفردات والتراكيب والثقافة .

3ـ تطوير مناهج اللغة العربية في هذه المناطق حتى يسهم في انجاح العملية التعلمية .

4ـ عدم التقيد بأسلوب معين داخل الفصل ، بل على المدرس أن يبني أساليبه التدريسية وفقا للموقف التعليمي .

وفي الختام أسأل الله أن يوفقنا في خدمة لغة القرآن الكريم

ثبت المراجع والمصادر

1/ التداخل اللغوي والتنوع الثقافي ، د . جابر محمد جابر دار جامعة القرآن الكريم للطباعة 2002م ، ص 1

2/ آرتثينوس Arathosonius

3/ رايزنر Reisner1918 (تريقر Trigger 1966 و استيفنصن Stevenson 1984: 1-2

4/أركل Arkel 1955 :177 - 178وسامية بشير ، 1996 : 120 – 121

5/مكمايكل Macmichael ، 1932 : محمد عوض ، 1956 :289 ومسعد، 1960: 221

6/ أركل 1955: 174

7/ شيني : (1980 : 87)

8/ سامية بشير ، النوبة الأصل والتاريخ ، مجلة دراسات إفريقية ، العدد الرابع عشر (1996: 118) :

9/ د. عمر السيد عبد الفتاح ـ معهد البحوث والدراسات الإفريقية ـ جامعة القاهرة منتدى العلم و المعرفةhttp://almarifa.amuntada.com/t249-topic#ixzz2nKOXbaKj :

10/ مشكلات التعليم باللغة العربية في المناطق الثنائية اللغة في الوطن العربي ، د. يوسف الخليفة أبوبكر

11/اللغة العربية والنشاط الاقتصادي ، سعيد أحمد بيومي ، 6حزيران (يونيو) 2006

12/ مشكلات التعليم باللغة العربية في المناطق الثنائية اللغة في الوطن العربي ، د. يوسف الخليفة أبوبكر مقال منشور في الرابط

13/ اللغة والاقتصاد : فلوريان كولماس ، ترجمة د. أحمد عوض ، سلسلة عالم المعرفة : الكويت ، العدد 263 ، نوفمبر 2000م ، ص 96

14/ مجلة العربي العدد 559 - 6/2005 - فكر - نبيل علي

15/ ملاحظات انتقادية حول المسألة الاقتصادية ، لينين انظر : " الأمة العربية وقضية الوحدة " : د. محمد عمارة ، دار الوحدة ، بيروت ، 1984م ، ص . 75

16/ تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، مراجعة الدكتور شوقي ضيف ، دار الهلال ، الجزء الأول ، ص 31

17/ بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، محمود شكري الألوسي ، الطبعة الثانية 1924م، الجزء الأول ، ص 264 ، وانظر لغة الإدارة : عبد السميع الهراوي ، مرجع سابق ، ص 14.

18/ اللغة والاقتصاد : فلوريان كولماس ، ترجمة د. أحمد عوض ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد 263 ، نوفمبر 2000م ، ص 96.

19– ملاحظات انتقادية حول المسألة الاقتصادية : لينين ، انظر : " الأمة العربية وقضية الوحدة " : د. محمد عمارة ، دار الوحدة ، بيروت ، 1984م ، ص . 75

20/ برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003:نحو إقامة مجتمع المعرفة، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، المكتب الإقليمي للدول العربية، الأردن، 2003.

21/ قضايا تعليم اللغة العربية في مناطق التداخل اللغوي بمعتمدية الخرطوم الصف الخامس سلوى محمد عبادي ـ رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ـ جامعة الخرطوم

22/ مشكلات التعليم باللغة العربية في المناطق الثنائية اللغة في الوطن العربي ، د. يوسف الخليفة أبوبكر مقال منشور في الرابط

23/ نفس المصدر

24/ نفس المصدر

المصادر الأجنبية

1 Stevonson. R.C(1984) The Nuba People of kordofan Province

Unversity Of Khartoum

2 Trigger Bruce(1976): Nobia under the pharaohs london

3 Macmichael Harold(1996) A History of the Arabs in the Sudan Vol 1 London

4 Arkel A .J(1955) History of the Sudan From the Earliest time to 1821 University of London